علم النفس والتنمية

الدكتور عبد الرحمن محمد العيسوي

أستاذ علم النفس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

في هذا البحث المواضع محاولة لإبراز الدور الذي يمكن أن يقوم به علم النفس الحديث في معركة التنمية الشاملة ، ونعني بها التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية . تلك التنمية التي لا تهتم بمنطقة دون أخري ، وإنما تهتم بالقري ، كما تهتم بالمدينة . ومن الجدير بالتأكيد أن مسئولية التنمية الشاملة لاتقع علي عاتق الدولة وحدها ، وإنما هي عملية مجتمعية تتضافر وتتعاون فيها جميع طبقات المجتمع وأفراده مع الدولة . وسوف يتضح للقارئ الكريم أن عملية التنمية تعتمد علي مقومات سيكولوجية ، من بينها تعديل إتجاهات الناس نحو التنمية : فلسفة ومنهجاً وسلوكاً بحيث تصبح هذه الإتجاهات مؤيدة ومساندة للتنمية . تلك التنمية التي من أبرز خصائصها أنها عملية مستمرة متصلة، ذلك لأن المجتمعات الأخري لاتقف ساكنة وإنما تلاحق الزمن في سعيها نحو التقدم والتنمية والإزدهار . كذلك لابد لمشروعات التنمية من نسق أخلاقي قويم يساندها ويؤازرها ويحمي عائداتها ومردوداتها ويحميها من براثن الفساد والتسيب والإنحراف والرشوة والاختلاس والإهمال واللامبالاة . وتتضح أهمية عملية علم النفس من حيث أن الإنسان هو صانع التنمية وهو أيضاً غايتها وهدفها الأسمي ، وعلم النفس هو العلم الذي يهتم بصنع الإنسان المتكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش في كنفه ، والقادر علي الإسهام الإيجابي والفاعل في معركة الإنتاج والتنمية والخلق والإبداع ، والمهيأ للبذل والعطاء والمتحرر من الأمراض والأزمات والصراعات والتوترات تلك التي تمتص طاقته وتبدد جهده .

ويتضح دور علم النفس من حيث إقناع أبناء المجتمع بإحتضان المشاريع التنموية والتحمس لها والدفاع عنها والإستفادة مما تقدمه هذه المشاريع من خدمات . فلقد كنا نري في الماضي أن الدولة تنشئ المصحات والمستشفيات والوحدات الريفية فكان يهجرها ويقاطعها الناس . ويتدخل علم النفس من خلال وضع معالم الإدارة التنموية ، تلك التي تتسم بالديمقراطية والشوري والتي يسودها جو من العلاقات الإنسانية والتي تشجع الأفراد علي بذل أقصي مايمكن أن يبذلوه من الجهد والعرق وهم راضون .

ونظراً لأهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه علم النفس الحديث في مجال التنمية ، تنمية الإنسان وتنمية المجتمع والتنمية الزراعية والصناعية والتجارية والاقتصادية والتربوية ، فإن الباحث يقترح إدخال مادة علم النفس التنموي ضمن البرامج والمقررات الدراسية في أقسام علم النفس ، كذلك يقترح أن يتم إنشاء مركز لبحوث التنمية يلحق بالجامعة ويعهد إليه دراسة مشاكل التنمية وأساليب تطوير الإدارة والإنتاج والتربية والعلاج .

دور علم النفس فى الحياة المعاصرة :

في هذا البحث – المتواضع – أتقدم بإقتراح للمسئولين عن الدراسات النفسية في مصر والعالم العربي لإدخال مادة جديدة ضمن المقررات والبرامج الدراسية لطلاب علم النفس ، تتناول مايمكن أن نسميه علم نفس التنمية Psychology of Development مواكبة لتطور المجتمع . وليس ذلك بغريب عن ذلك العلم الناشئ والوثاب الذي أخذ في التطور السريع منذ إنسلاخه عن أمه الفلسفة ، ورغم حداثة تاريخه ، إلا أنه سريع الخطي في مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية ، التي تطرأ حوله في المجتمعات المحلية والعالمية . بل إنه كان ومايزال هو ذاته

أحد أدوات المجتمع في التقدم والرقي والتحضير والتمدين Moderlization .

كما أتقدم بإقتراح بإنشاء مركز لبحوث التنمية كوحدة مستقلة تابعة للجامعة تقوم بدراسة جوانب التنمية المختلفة .

اتساع آفاق علم النفس الحديث :

لقد امتدت الخدمات السيكولوجية لتشمل كافة جوانب الحياة العصرية ، ولم تعد قاصرة علي تقديم الرعاية للفئات الشاذة من أبناء المجتمع كالمرضي والجانحين والمجرمين وضعاف العقول[1] Abnormal groups .

وليس هناك أدل من مواكبة علم النفس واتسامه بالمرونة من إسهامه الإيجابي والفعال في الحربين العالميتين اللتين دارت رحاهما في هذا القرن ، فنشأ وتطور وازدهر علم النفس الحربي أو العسكري Military Psychology إبان الحربين ، وتتنوع الخدمات والأبحاث النفسية لتشمل : علم النفس التجاري ، والتربوي ، والاجتماعي ، والفسيولوجي ، وعلم نفس الحيوان ، والإداري ، والإرتقائي ، والقضائي ، والمقارن ، والصناعي أو المهني، علم النفس الجنائي ، والإكلينيكي ، وعلم نفس الطفل والمراهق ، ودراسات الشخصية ، وعلم النفس القانوني ، والإرشاد النفسي ، وعلم النفس المعرفي ، وعلم النفس الفارقي ، والتجريبي ، وعلم النفس العمالي والهندسي ، وذلك إلي جانب تاريخ علم النفس ومدارسه ومناهج البحث فيه ، والقياس وأدواته والإحصاء السيكولوجي وتقنياته .

علم النفس البيئى وعلم نفس الإدمان :

ونضيف إلي ذلك علم نفس البيئة ، ذلك الفرع الذي ظهرت الحاجة إليه بإزدياد مشاكل البيئة وما أصابها من جراء التلوث Pollution والإزدحام

والضوضاء وبناء ناطحات السحاب والتكدس السكاني ومافيه من ضوضاء وتلوث الهواء والماء والتلوث النووي والتلوث بالضوضاء

(التلوث مشكلة العصر للدكتور أحمد مدحت إسلام - عالم المعرفة - ١٩٩٠).

وفي ضوء المتغيرات الاجتماعية التي تطرأ علي المجتمع العربي، يمكن إضافة علم نفس الإدمان Psychology of Addiction نظراً لتفشي ظاهرة الإدمان وسقوط مئات الضحايا في مستنقع الإدمان وفي ظلماته .

وعلم النفس ، شأنه في ذلك شأن شتي العلوم والمعارف الأخري ، لايمكن أن يقف ساكتاً حتي يتغير المنظر الاجتماعي من حوله ثم يأخذ في تطوير نفسه، إنما لابد أن يكون للسيكولوجيين دور المبادأة وأخذ المبادرة في الدعوة للإصلاح والتطوير والتصدي لما يجابه المجتمع من المشكلات والأزمات والعمل علي دراستها وإقتراح الحلول الملائمة لها أولاً بأول .

وإذا كنا نجتاز مرحلة الصراع مع الزمن ، وتلهث الأنفاس لكي نواكب ركب حضارة العصر ، فلا يمكن أن تكون جهود علماء النفس ضرباً من الترف العملي والإستغراق في النظر والتنظير ، وإنما يجب أن توجه جهودهم ، في المقام الأول لمعارك المجتمع وملاحم نضاله .

ولكي يتسني للعلم القيام بخدمة المجتمع علي الوجه الصائب لابد من التعرف أولاً علي أهداف المجتمع في الوقت الحاضر لأن ذلك يضئ الطريق ويوضح الرؤية أمام المشتغلين بالعلم في وطننا العربي الكبير لكي تتجه جهودهم وطاقاتهم نحوها .

أهداف المجتمع الراهنة :

لكل مجتمع ، في كل حقب التاريخ ، أهداف أو أولويات يضعها نصب عينيه محاولاً تحقيقها ، ونستطيع أن نقول إن مجتمعاً كالمجتمع المصري لابد وأنه يستهدف مايلي :

١ - تحقيق الرخاء ، ومايتبع ذلك من سداد المديونية ، وتحسين ميزان المدفوعات ، وزيادة الدخل القومي والفردي ، ورفع مستوي معيشة الأفراد....الخ.

٢ - تدعيم الديمقراطية فكراً وسلوكاً وإرساء سيادتها في الحرية والحق والعدل والمساواة والإخاء وتكافؤ الفرص والتعاون والمشاركة .... الخ .

٣ - صيانة السيادة والإستقلال وعدم التبعية السياسية أو الإقتصادية ، ويتطلب ذلك تحقيق القوة العسكرية الوطنية وتطويرها باستمرار واستنادها إلي قاعدة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعلمية سليمة .

٤ - نشر العلم والقضاء علي الأمية وتحقيق آمال الجماهير المتطلعة إلي الإرتواء بماء التعليم العالي الذي تتخذ منه طبقات المجتمع ، ولا سيما الطبقات الكادحة ، مصعداً اجتاعياً ترتقيه للصعود دائماً إلي الطبقات الاجتماعية الأعلي، ولاشك أن التعليم في الوقت الحاضر مطلب اجتماعي ملح تصر عليه كافة طبقات المجتمع .

٥ - نشر الوعي الأمني والصحي والديني والخلقي ، وتنمية القيم الإسلامية الخالدة في الحق والخير والجمال والعدل والإنصاف والشوري والبر والإحسان والأمانة والصدق والولاء والوفاء والتضحية والبذل والعطاء والاستشهاد..... الخ .

٦ – مواكبة حضارة العصر واللحاق بها ونقل التكنولوجيا المتقدمة واستيعابها، وعدم التخلف عن مسايرة العصر بما فيه من علم وفكر مع المحافظة علي مالدينا من تراث وقيم ومبادئ نابعة من ديننا وتاريخنا وأمجادنا الخالدة بل العمل علي إذكائها .

٧ – تحقيق مزيد من الأمن والاستقرار والقضاء علي كل مظاهر الجريمة والإهاب.

٨ – تحقيق مزيد من الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي .

وسائل تحقيق أهداف المجتمع :

إذا كانت هذه أهداف مجتمعنا ، أو بعضاً منها ، فإن تحقيقها يتطلب إتخاذ العديد من الوسائل والإجراءات وإنتهاج كثير من المناهج وإعتناق الفلسفات المؤدية إلي تحقيق هذه الغايات ، ومن ذلك الاهتمام بزيادة الإنتاج، وتحسين جودته ، حتي يفي بالإحتياجات المتزايدة لأبناء المجتمع ، وحتي يقوي علي المنافسة في الأسواق العالمية ، وفي سبيل تحقيق الإكتفاء الذاتي يلزم غزو الصحراء واستقطاع مساحات شاسعة من جوفها وضمها إلي الرقعة الخضراء ، ومد أضواء العمران إلي أعماق الصحراء ، ويتطلب غزو الصحراء هذه، من بين مايتطلب تغيير إتجاهات الناس العقلية نحوها . كذلك يتطلب إتباع سياسة فعالة في تحديد النسل وتنظيم الأسرة حتي لاتلتهم الزيادة المضطردة في أعداد السكان عوائد التنمية ومردوداتها .

كذلك يتطلب هذا الهدف تغيير الأنماط الاستهلاكية لدي أفراد المجتمع وإتباع أنماط أكثر توعية واقتصاداً ، وغير ذلك من الوسائل والإجراءات التي تكفل تحقيق هذه الأهداف .

التنمية وسيلة المجتمع فى تحقيق الأهداف :

ولا شك أن التنمية وخططها ومشروعاتها من بين الوسائل المهمة التي اتخذتها الدولة في كل مجتمعاتنا العربية سياسةً لها لتحقيق هذه الأهداف وغيرها وتتطلب التنمية تغيراً فكرياً وسلوكياً وإدارياً وجذرياً ، وفوق كل ذلك تتطلب قيماً خلقية خاصة تكفل لها النجاح وتصون عائداتها . كذلك تتطلب التنمية استخدام العلم والتكنولوجيا في المشروعات العمرانية والإنتاجية المختلفة. وتحسين سبل الإدارة وإسهام أحاد الناس في مشروعاتها .

التنمية بمعناها الشامل :

التنمية ، بداهة ، التطوير العمدي المقصود والهادف ، وتحسين الأشياء ، والإرتفاع بجودتها ، أو إنشاء الأشياء الجديدة ، والعمل علي تقدمها وحسن تطورها ، وإزدهارها ، ومن معانيها التوسع والامتداد ، والكشف عما يكمن في باطن الأرض أو في سماء الوطن أو في مائة من خيرات واستغلالها أو ما يوجد من قوة وطاقات والعمل علي تحسينها وجعلها تعطي أقصي ماتملك من خيرات. وتتضمن التنمية تقوية مصادر الخير والإنتشار والنمو والتطوير وجعل الأشياء أو الأشخاص أكثر نضجاً وأكثر عمقاً وأكثر فهماً . وقد تعني التدقيق والضبط والتشغيل والاستعمال والاستكشاف وارتياد الأماكن المجهولة وإكتشافها واستغلال الإمكانيات واستثمارها أو القدرات الكامنة وتتضمن معني التعمير والتشييد ، ونشر العمران في الأماكن الخالية ، وكذلك عمليات التعدين أو استخراج المعادن من باطن الأرض ، وتتضمن عملياً التنمية تحويل الأشياء من شكل إلي شكل أخر أكثر تطوراً كما هو الحال في الصناعات البتروكيميائية . وعلي ذلك يمكن النظر للتنمية علي أنها عملية تؤدي إلي تنمية الأشياء والناس. ويمكن النظر إليها علي أنها نتائج هذه العملية ، أي عملية التنمية ، وقد تشير

إلي عمليات التعديل والتغيير والتركيب أما مايعرف باسم مناطق التنمية ، فهي تلك المناطق التي يستشعر المجتمع أنها غير نامية ، ولذلك يمد إليها يد العون في شكل مزيد من العمران والتصنيع .

وقد تتطلب عمليات تنمية المناطق المحرومة تقديم المساعدات للتدريب والتأهيل، وإعادة التأهيل للسكان وتحسين ظروف المعيشة بما في ذلك من إمدادات المياه والإضاءة والنظافة وتعليم الحرف ونشر المهن والصناعات النافعة. ولقد تبينت المملكة المتحدة البريطانية حاجة بعض مناطقها إلي التنمية في وقت مبكر يرجع إلي عام (١٩٣٤م) . وفي عام (١٩٤٥م) تحول اسم هذه المناطق من المناطق غير النامية إلي المناطق النامية بعد أن امتدت إليها يد التنمية والتعمير . ومن الوسائل التي استخدمتها انجلترا لتنمية هذه المناطق تقديم العون والمنح والقروض لإنشاء المصانع الجديدة .

والعمل التنموي ، بمختلف أبعاده ، ليس غريباً علي أرض الإسلام ، فلقد حرص الإسلام الحنيف علي تنمية مواهب الفرد وقدراته وخبراته ومعارفه ومختلف قواه الجسمية ، وتدعيم إيمانه بالله الخالق [٢] وكذلك تنمية المجتمع الإسلامي وتقويته وتدعيمه .

الفرق بين التنمية والنمو الطبيعي :

التنمية من أكثر المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبشرية إتساعاً في عصرنا الحالي، ولا سيما في دول العالم الثالث التي اتخذت منها منهجاً للتقدم والرقي والتخلص من وهدة التخلف ، واللحاق بركب حضارة العصر .

والتنمية لغة معناها (النماء) أي الأزدياد التدريجي في الأجسام الحية.

ويقال نما المال نمواً . ويستخدم اصطلاح التنمية بمعني الزيادة في رفع مستوي المجتمع اقتصادياً واجتماعياً . وهناك أنواع أو أبعاد مختلفة من التنمية ، منها التنمية الاقتصادية Economic development ويختلف مدلول التنمية الاقتصادية عن النمو الاقتصادي Economic growth الذي يشير إلي التقدم الاقتصادي التلقائي أو الطبيعي أو العفوي .

ويختلف مفهوم التنمية أو النماء عن مفهوم التغير ، لأن التغير لا يؤدي ، بالضرورة ، إلي التقدم والإرتقاء في المجتمع ، كما هو الحال في حالة الحرب الذي يؤدي إلي تغيير أوجه الحياة في المجتمع ، ولكن إلي الأسوأ .

أما النمو فيختلف عن مفهوم التنمية ، لأنه قد يحدث بصورة تلقائية دون التدخل المتعمد من قبل المجتمع . والتنمية يقصد بها التدخل المقصود لتحقيق النمو بصورة سريعة الخطي في حدود فترة زمنية تحددها خطط التنمية ، فزيادة السكان في مجتمع ما قد تنمو وتتزايد دون تدخل من قبل الدولة أو المجتمع . والحقيقة أن الفرق بين مفهوم النمو والتنمية كالفرق بين التطور وعملية التطوير المقصودة .

وبينما يحدث النمو من خلال تطور تدريجي بطئ ، فإن التنمية تحتاج إلي دفعة قوية تحركها قدرات إنسانية خبيرة ، تخرج المجتمع من حالة الركود إلي التقدم ، كما أن الفرق بين التغير والتنمية يتمثل في أن التنمية يفترض سيرها في خط مستقيم صاعد يميزها عما كان ، كما تفترض حكماً تقويمياً يصفها بانها تسير إلي الأفضل ، بعكس التغير الذي لايفترض فيه الأحسن علي طول الخط ، وإنما قد يكون تغيراً إلي أسوأ [٤] .

والحقيقة أن التنمية عملية شاملة متكاملة تتضمن كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والقانونية والتعليمية والسياسية [٥]

والأخلاقية. وعلي ذلك فالتنمية لاتقتصر علي مجرد تقديم الخدمات الاجتماعية. ويذهب بعض المفكرين إلي جعل موضوع التنمية من مهام العديد من العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والأنثربولوجيا وعلم السياسة والإدارة والطب الاجتماعي والزراعة وتخطيط المدن والدين والتربية ويغفلون بذلك فرعاً هاماً من العلوم الإنسانية ألا وهو علم النفس والدراسات النفسية التي تقوم بالنصيب الأكبر في إعداد أهم عنصر من عناصر العملية الإنمائية ألا وهو الإنسان نفسه. فيسعي هذا العلم للتعرف علي طبيعة نموه ، وأساليب تفكيره ، وطرق إعداده ، وتعليمه ، وأساليب علاجه ، وتحريره من المشكلات والأزمات. وتنمية قواه العقلية والنفسية والصحية وصقل شخصيته وتنمية سماته . ولذلك فإن لعلم النفس دوراً لا يقل عن العلوم الأخري في معارك التنمية وفي تحقيق أهدافها إن لم يكن أكثر منها .

تعريف هيئة الأمم للتنمية :

ومهما تعددت مفهومات التنمية ، فإنها تتفق في الهدف العام منها وهو تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته ، فالتنمية ، وفقاً للمفهوم الذي تتبناه هيئة الأمم المتحدة ، تشير إلي العمليات التي تؤدي إلي تقدم المجتمع اقتصادياً واجتماعياً ، وذلك عن طريق تضافر الجهود الحكومية والشعبية . ويشار ، أحياناً، إلي التنمية Development علي أنها التغيير الاجتماعي Social change الذي يتضمن إضافة أفكار جديدة إلي النظام الاجتماعي Social system بهدف تطوير أحوال الناس ، وتوفير الخير الاجتماعي Social wellbeing بينما يري بعض مفكري التنمية أن التنمية عبارة عن زيادة فرص الحياة أمام الناس . ويهتم الفكر التنموي الحديث بتحقيق الرفاهة البشرية أو تحقيق الحياة الجديدة .

وهناك أبعاد كثيرة لهذه السعادة منها البعد المادي ، أو البعد الاقتصادي والبعد البشري أو البعد الإنساني ، والبعد الاجتماعي ، والبعد البيئي . ومؤدي هذا أن العملية التنموية عملية متعددة الأبعاد ، حيث تتضمن البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي .

جهود الدولة وجهود الأفراد :

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلي مفهوم التنمية في إطار الفكر التنموي الشامل. فالتنمية (هي النمو المدروس علي أسس علمية ، والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كانت تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية في أحد الميادين الرئيسية مثل الميدان الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو الميادين الفرعية كالتنمية الصناعية أو التنمية الزراعية ،... الخ [٦] .

ومن التعاريف التي قبلتها هيئة الأمم المتحدة في عام (١٩٥٦م) للتنمية ، ذلك التعريف الذي يعتبر التنمية (العملية التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المحلية لمساعدتها علي الإندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل مايمكن[٧] .

والحقيقة أن مفهوم التنمية ، بمعناها الشامل ، لاينتمي إلي علم واحد من العلوم ، ولكنه يتطلب تضافر مجموعة من العلوم والتخصصات الحديثة . ويعتبر الإنسان الهدف الرئيسي للتنمية الاجتماعية . كذلك فمما لا شك فيه أن العنصر البشري هو أقصي العناصر المؤثرة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فهو العنصر الذي يساعد علي تحقيقها ، وهو أيضاً الهدف الذي توجه التنمية من أجله [٨] .

ومن تعاريف التنمية ، بصفة عامة ، أنها التحريك العلمي ، المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال أيديولوجية معينة لتحقيق التغير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب الوصول إليها . وترتبط التنمية من حيث أهدافها وتصوراتها وعملياتها بالإطار الفكري للمجتمع(٩).

وعلي الرغم من أن التنمية عملية موحدة تسعي لإحداث تغير كمي ونوعي في المجتمع علي مراحل زمنية مخطط لها ، إلا أنه قد جري العرف علي تقسيمها إلي تنمية اجتماعية وتنمية اقتصادية ، ويمكن إضافة أقسام أخري كالتنمية البشرية .

قصور التنمية الاقتصادية وحدها :

والحقيقة أن مفهوم التنمية هو نفسه قد نما وتطور واتسعت آفاقه . والمأمول أن تزداد دائرة هذا الإتساع . فلقد نشأت الدراسات التنموية ، أول ما نشأت ، في الإطار الاقتصادي ، حيث استهدفت التعرف علي الأساليب التي أدت إلي تغير شكل الحياة في المجتمعات الأوربية من نظام الإنتاج التقليدي المتخلف إلي نظام الإنتاج الراقي والمتطور . ولقد كان ، في الماضي ، يسود الاعتقاد بان التنمية الاقتصادية التي تتمثل في رفع مستوي دخل الافراد، كفيلة وحدها لتحرير الناس من مشاكلهم الاجتماعية والسياسية والتعليمية ... الخ ، وكان مما يساق في تأييد هذا الرأي الاستشهاد بالثورة الصناعية الأوربية التي أدت إلي إنخفاض معدلات الوفيات ، وإرتفاع متوسط عمر الفرد ، وتحسين الغذاء ، وإرتفاع مستوي الدخل الفردي ، وزيادة عدد المساكن الصحية وما إلي ذلك .

والحقيقة التي كشفت عنها دراسات كثيرة ، أن التكنولوجيا نشلت في

حل مشكلة الإنسان الأوربي ، فلقد حدث تطور كبير في جانب واحد من حياة المجتمع ، وهو الجانب المادي أو التكنولوجي ، ولم يواكبه تقدم في الجوانب المعنوية والقيم الأخلاقية . ومن ذلك أن إنتشار الآلة أدي إلي إنتشار البطالة التي أدت ، بدورها ، إلي العديد من الأمراض الاجتماعية الخطيرة. ونتج عن الثورة الصناعية ، كذلك ، ضعف الروابط الأسرية ، وضعف سلطان الرجل ، ونزول المرأة لميدان العمل الخارجي ، ومن ثم قلت الرعاية الوالدية للأبناء مما كان له أسوأ الأثر في التنشئة الاجتماعية . ومن هنا يتضح ضرورة مواكبة التنمية الاجتماعية للتنمية الاقتصادية . فالتنمية الاقتصادية ، وحدها ، تشبه الآلة التي لاتجد من يديرها من القوي البشرية ، كما تشبه التنمية الاجتماعية التي لايجد سنداً اقتصادياً المخبز الذي لايوجد به دقيق (١٠).

بل إن تضافر العناصر الاقتصادية والاجتماعية لايكفي لتحقيق التنمية الشاملة ، إلا إذا كان المجتمع النامي نفسه متمتعاً بالحساسية الأخلاقية النابعة من أداء الواجب للواجب، ومراعاة الضمير ، والبعد عن السلبيات العديدة التي تنخر في عملية التنمية نخر السوس في العظام المتهالكة ، كالإنتهازية ، والأنانية ، والوصولية، والرشوة ، وعدم تقدير المسئولية ، والبحث عن الثراء الحرام ، والإنحرافات الجنسية وقضايا الفساد والتسيب ، فتلك سلبيات لايمكن أن تتحقق معها تنمية مجتمع ما مهما توافرت له سائر العناصر الاقتصادية والاجتماعية(١١).

فالتنمية الاقتصادية ، مهما بلغت دقة الأدوات المستخدمة فيها ، لابد لها من تحريك النظم الاجتماعية والإدارية وترشيدها ، ولابد من الوعي ونشر روح تحمل المسئولية وتنمية قدرة الأفراد علي استيعاب التكنولوجيا ومستحدثاتها الجديدة ، التي تكفل إشراك الناس في التخطيط التنموي ، والتنفيذ والمتابعة ،

وإتخاذ القرارات والإشراف ، ثم الإنتفاع الأمثل بثمرات التنمية .

أهمية العنصر البشرى :

ومهما اختلف العلماء حول أهمية العنصر الاقتصادي والاجتماعي فإنه يمكن القول بأن قيمة العنصر البشري في التنمية لايماثلها أية قوة أخري ، لأن الإنسان هو صانع التنمية ، وليس العكس ، والإنسان المشار إليه هنا هو ذو الكفاية الإنتاجية والأخلاقية المرتفعة والذي ينال قسطاً وافياً من التعليم ، ويتمتع بصحة جيدة ، وتتوفر له وسائل الحياة الآمنة في حاضره ومستقبله(١٢).

ولقد بلغ من تقدير أهمية العلم في التنمية أن قال أحد علماء الاقتصاد وهو (مارشال) أن فئة متعلمة من الناس لايمكن أن تعيش فقيرة ، ذلك لأن الإنسان بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة علي العمل والإنتاج والإبداع ، يستطيع أن يسخر كل قوي الطبيعة ومصادرها وكل مافي باطن الأرض ، ومافوقها لصالحه ، والإرتفاع بمستوي معيشته ، وتوفير الحياة الكريمة له»(١٣).

« وإذا كان علماء الاقتصاد يركزون ، في عملية التنمية ، علي الاقتصاد والتكنولوجيا ، إلا أن علماء الاجتماع ، يرون أن أساس العملية التنموية ينبع من العنصر الإنساني أساساً ، من حيث المهارات والخبرة والمستوي التعليمي ، وإعداد البرامج وتخطيط الأهداف وتقدير الحاجات والإحتياجات ، من منطلق موضوعي مدروس »(١٤) .

ويشاركهم في ذلك رجال الدين الذين يرون أن التنمية الاجتماعية يجب أن تهتم أولاً بالمحافظة علي كرامة الإنسان ، باعتباره خليفة الله في الأرض .

ويرون أن أساس التنمية هو التعاون المثمر لخير المجتمع ونفعه ومن هنا كان لابد للتنمية ، في نظرهم ، أن تقوم علي أساس المشاركة والشوري وتستهدف التنمية استخلاص مافي الأرض من خيرات وثمار ، وأن العمل التنموي يقوم علي الإتقان والتحسين والتجويد والإجادة .

ومن خصائص العملية التنموية أنها مستمرة ومتصلة ومتجددة ، ذلك لأن طموحات الإنسان لاتعرف الحدود . وإذا كانت التنمية ضرورية في كل المجتمعات ، فهي أكثر ضرورة في المجتمعات الفقيرة حتي تتخلص من الفجوة التي تفصل بينها وبين دول العالم المتقدم .

أهداف التنمية :

للتنمية أهداف متعددة ، وتؤدي هذه الأهداف إلي نجاح التنمية . ويمكن تحديد أهداف تنمية المجتمع فيما يلي :

١ – استثمار الموارد البشرية أو القوي البشرية في المجتمع وتنميتها .

٢ – تحسين المستوي المادي للمجتمع وأفراده [١٥] .

وهكذا يتضح لنا أن التنمية هي فلسفة المجتمعات النامية المعاصرة وهي سبيلنا الأوحد في التقدم والرقي والتطور والقوة والمنعة .

المراجـــع

١ – عبد الرحمن العيسوي ، علم النفس في الحياة المعاصرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٦ .

2 - The Pinguin Encyclopdia, P. 173, 1965.

٣ - عبد الرحمن العيسوي ، الإسلام والتنمية البشرية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ .

٤ – زكي محمد إسماعيل ، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الرابع ، ١٤٠٠ هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ص ١٥٠ .

٥ – المرجع السابق .

٦ – عبد الهادي الجوهري وآخرون ، دراسات في التنمية الاجتماعية ، «مدخل إسلامي» ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٧ – المرجع السابق .

٨ – المرجع السابق .

٩ – المرجع السابق .

١٠ – زكي محمد إسماعيل ، مرجعه السابق ، ص ١٥٣ .

١١ – نفس المصدر .

١٢ – نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

١٣ – نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

١٤ – نفس المصدر .

١٥ – عبد الهادي الجوهري ، مرجع السابق .